

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾

النَّعْمَةُ وَالنَّعِيمُ، النَّبِيُّ الْأَعْظَمُ وَعَتْرَتُهُ ﷺ

الشيخ فخر الدين الطريحي

تعددت الكتب التي تحمل في عناوينها كلمة «غريب»، مثل «غريب القرآن»، و«غريب الحديث»، وهي كتب لغوية تُعنى ببيان ما غمضَ علمه من الألفاظ القرآنية والحديثية. وللشيخ المحدث الفقيه اللغوي، فخر الدين الطريحي النجفي (ت: ١٠٨٥ للهجرة) إسهام في هذا الخصوص، حيث ألف كتاباً بعنوان «تفسير غريب القرآن»، ثم وضع مُعجماً لغريب القرآن والأحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام، مضيفاً إليه كثيراً من المفردات والمعاني المستخدمة في الكلام، والواردة في أمهات مصادر اللغة، وأسماؤه «مجمع البحرين ومطلع النيرين» ومنه هذه المقالة.



* وقيل: يُسأل عن كلِّ نعمة إلا ما خصَّه الحديث، وهو: «ثلاثة لا يُسأل عنها العبد: خِزْفَةُ ثَوَارِي عَوْرَتِهِ، وَكِسْرَةُ تَسُدُّ جَوْعَتَهُ، وَيَبِيْتُ يُكْتَنُ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ».

* وروى العياشي في حديثٍ طويل، قال: «سأل أبو عبد الله [الإمام الصادق] أبا حنيفة عن هذه الآية ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ التكاثر: ٨، فقال له: ما النعيم عندك يا نعمان؟ قال: القوت من الطعام، والماء البارد.

فقال الإمام عليه السلام: لئن أوقفك يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كلِّ أكلةٍ أكلتها، وشربةٍ شربتها، ليطولنَّ وقوفك بين يديه!

قال: فما النعيم جعلت فداك؟

قال: نحنُ - أهل البيت - النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا اتلفوا بعد أن كانوا مُختلفين، وبنا ألفت الله بين قلوبهم،

١- قوله تعالى: ﴿ مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ ﴾ القلم: ٢.

* قال المُفسر: تقديره: ما أنت بمجنون، مُنعماً عليك بذلك، وهو جوابٌ لقولهم: ﴿...يَأْتِيهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ الحجر: ٦، فيكون ﴿رِعْمَةٌ رِيكَ﴾ في محلِّ النصب على الحال.

٢- قوله تعالى: ﴿...وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ... ﴾ البقرة: ٢١١.

* أي: الدين والإسلام.

٣ و٤- قوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ بُنِئُوا عَلَىٰ نِعْمَتِهِ... ﴾ النحل: ٨٣. وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا... ﴾ إبراهيم: ٢٨.

* قال الإمام الصادق عليه السلام: «نحنُ والله نعمةُ الله التي أنعم بها على عباده، وبنا فازَ مَنْ فازَ».

٥- قوله تعالى: ﴿...لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ التكاثر: ٨.

* قيل: يعني كفار مكة، كانوا في الدنيا في الخير والنعمة، فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه، إذ لم يشكروا ربَّ النعيم، حيث عبدوا غيره.

* وقال الأكثرون: المعنى: لتُسألنَّ، يا معاشر المكلِّفين، عن النعيم.

* قال قتادة: إنَّ الله سائلٌ كلَّ ذي نعمةٍ عما أنعم عليه. وقيل:

[النعيم في الآية هو] الصِّحَّة والفراغ. وقيل: هو الأمن والصِّحَّة.

وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام.

«...والله سألهم
عن حق النعم
الذي أنعم به
عليهم، وهو
النبي
صلى الله عليه وآله،
وعترته
عليهم السلام».

وَجَعَلَهُمْ إِخْوَانًا بَعْدَ أَنْ كَانُوا أَعْدَاءً، وَبِنَا هَدَاهُمْ
اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، وَهُوَ النَّعْمَةُ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ، وَاللَّهُ
سَأَلَهُمْ عَنْ حَقِّ النَّعْمِ الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَعِزَّتُهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
٦- قوله تعالى: ﴿...حَوْلَهُ نِعْمَةٌ...﴾ الزمر: ٨.
* يعني العافية. والنعمة بالفتح: اسمٌ من التَّعَمُّ.
ومنه قوله: ﴿...أُولَى النَّعْمَةِ...﴾ المزمل: ١١، أي
التَّعَمُّ في الدنيا، وهم صنديد قريش، كانوا أهل
ثروة وترَفٌ.
* والتَّعَمُّ بالفتح والمدّ هي: النَّعْمُ الباطنة.
والآلاء هي: النَّعْمُ الظَّاهرة.
٧- قوله تعالى: ﴿وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ﴾
الدخان: ٢٧.
* أي: تَتَّعَمُ، وَسَعَةٌ في العيش.
٨- قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ الغاشية: ٨.
* أي مُنْعَمَةٌ في أنواع اللذات، ظاهرٌ عليها آثارُ
النَّعْمِ والسُّرورِ، مضيئةٌ مشرقةٌ ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾
الغاشية: ٩، حين أُعْطِيَتِ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهَا. والمعنى:
لثوابِ سَعِيهَا وَعَمَلِهَا مِنَ الطَّاعَاتِ رَاضِيَةٌ. قال
الشَّيْخُ أَبُو عَلِيٍّ [الطَّبْرَسِيُّ] صَاحِبُ تَفْسِيرِ مَجْمَعِ الْبَيَانِ:
كَمَا يُقَالُ: «عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى».
[السُّرَى: السَّيْرُ بِاللَّيْلِ. يَضْرِبُ لِلزَّجْلِ يَحْتَمِلُ الْمَشَقَّةَ رَجَاءً
الرَّاحَةِ]
* وفي حديث الميت مع ملائكة القبر «نَمْ نَوْمَةَ
الشَّابِّ النَّاعِمِ».
قال بعض الشَّارِحِينَ فِي النَّاعِمِ: هُوَ مِنَ النَّعْمَةِ،
بِالْكَسْرِ، وَهُوَ مَا يَتَّعَمُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الْمَالِ
وَنَحْوِهِ. أَوْ [مِنَ النَّعْمَةِ]، بِالْفَتْحِ، وَهِيَ النَّفْسُ
الْمُنْتَعِمَةُ، قَالَ: وَلَعَلَّ الثَّانِي أَوْلَى، فَقَدْ قِيلَ: «كَمْ
ذِي نَعْمَةٍ لَا نِعْمَةَ لَهُ».
٩- قوله تعالى: ﴿...نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهَا...﴾ النساء: ٥٨.



موجز في تفسير سورة «ق» «..دَعُهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ..»

إعداد: سليمان بيضون

* السُّورَةُ الْخَمْسُونَ فِي تَرْتِيبِ سُورِ الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ «الْمُرْسَلَاتِ».
* آيَاتُهَا خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ، يُهَوِّنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى قَارِئِهَا سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، وَيُوسِّعُ فِي رِزْقِ مَنْ دَاوَمَ عَلَى قِرَاءَتِهَا فِي فَرَائِضِهِ وَنَوَافِلِهِ، وَيُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَيُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا.
* سُمِّيَتْ بِسُورَةِ «ق» لِابْتِدَائِهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾.

العناوين المتضمنة في سورة «ق»

«تفسير الأمل» [بتصرف]: محورٌ بحوث سورة «ق»، هو موضوع المعاد، وجميع آياتها - تقريباً - تدور عليه، وعلى مسائل أُخَرَ مرتبطةً به أيضاً، منها:

- ١ - إنكارُ الكافرين المعادَ الجسماني، وتعجبُهم منه.
- ٢ - الاستدلالُ على مسألة المعاد عن طريق الإلفات إلى مُطلق التكوين والخلق، لا سيَّما إحياء الأرض الميتة بنزول الغيث.
- ٣ - الاستدلالُ على مسألة المعاد عن طريق الإلفات إلى الخلق الأول.
- ٤ - الإشارةُ إلى حقيقة تسجيل الأعمال والأقوال، ليوم الحساب.
- ٥ - المسائل المتعلقة بالموت، والانتقال من هذه الدنيا إلى الدار الأخرى.
- ٦ - جانبٌ من حوادث يوم القيامة، وأوصاف الجنة والنار.
- ٧ - إشارةٌ إلى الحوادث المذهلة الواقعة عند نهاية هذا العالم، والتي تُعتبر بداية العالم الآخر.

سورة «ق»، مكيّة، ويشكلُ موضوع المعاد محورَ آياتها.

ثوابُ تلاوة سورة «ق»

«ثواب الأعمال»: عن النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ ق، هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَارَاتِ الْمَوْتِ [التارة: الحين والمرة، وهنا بمعنى الأحوال، أي الحالات التي تعتره عند النزح] وَسَكَرَاتِهِ».

«مجمع البيان»: عن الإمام الباقر عليه السلام: «مَنْ أَدَمَّنَ فِي فَرَائِضِهِ وَنَوَافِلِهِ قِرَاءَةَ سُورَةِ ق، وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَأَعْطَاهُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَحَاسَبَهُ حِسَابًا يَسِيرًا».

«تفسير الأمل»: سورة «ق» واحدةٌ من السُّورِ التي تبدأ بـ «الحروف المقطعة»، وقد بدأت بحرفٍ واحدٍ هو «القاف»، ومن أشهر التفاسير لورود هذه الحروف في بدايات بعض السُّور، أن القرآن الكريم، على عظمتها، مؤلَّفٌ من حروف الهجاء التي يستعملها العرب في محاوراتهم، ما يدلُّ على أن مُبدع القرآن ومُنزله لديه علمٌ لا محدود، وقدرةٌ مطلقة، بحيث خلق هذا التركيب الرفيع العالي من هذه الوسائل البسيطة المألوفة.

هدف السورة

«تفسير الميزان» [بتصرف]: تدور آياتُ سورة «ق» على المعاد وجُحود الكافرين به واستعجابهم منه، مُتذَرِّعين بأنَّ الموت يستتبع بطلان الشخصية الإنسانية، بصيرورة صاحبها تراباً لا يبقى معه أثرٌ مما كان عليه، فكيف يرجع ثانياً إلى ما كان عليه قبل الموت؟!.

ثم تدفعُ السورة، ما أظهره من الاستعجاب والاستبعاد، بأنَّ العلم الإلهي محيطٌ بهم، وعنده تعالى الكتابُ الحفيظ الذي لا يعزُبُ عنه شيءٌ مما دقَّ أو جلَّ من أحوال خلقه، ثمَّ تعدُّهم بأنَّ يجري عليهم مثلما جرى على الأمم الماضية الهالكة.

وتنبهُ السورةُ ثانياً على علمه تعالى وقدرته؛ بالإشارة إلى تدبيره سبحانه في خلق السماوات وما زينها به من الكواكب والنجوم والأجرام، وفي خلق الأرض ومدّها وإلقاء الرُؤاسي فيها، وإنبات الأزواج النباتية فيها، ثمَّ بإنزال الماء وتهيئة أرزاق العباد وإحياء الأرض به.

ثمَّ تبيِّنُ السورةُ حالَ الإنسان من بدء خلقه، وأنَّ أفعاله وأقواله - حتَّى اللَّفْظِ الواحد - تحت مراقبةٍ شديدةٍ دقيقة، وكذا ما يخطرُ في باله، وما توسوسُ به نفسه أيام حياته.

تفسير روائي لآيات من السورة

«تفسير نور الثقلين»:

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْرَأْنَا أَنْ الْمَجِيدِ﴾ ق: ١.

الإمام الصادق عليه السلام: «.. وَأَمَّا ق [قاف]، فَهُوَ الْجَبَلُ الْمُحِيطُ بِالْأَرْضِ، وَخُضْرَةُ السَّمَاءِ مِنْهُ، وَبِهِ يُمَسِّكُ اللَّهُ الْأَرْضَ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا».

قوله تعالى: ﴿وَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ ق: ٩.

الإمام الباقر عليه السلام: «كَانَتْ السَّمَاءُ رَتْقًا لَا تُنْزَلُ الْمَطَرُ، وَكَانَتْ الْأَرْضُ رَتْقًا لَا تُنْبِتُ الْحَبَّ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْخَلْقَ وَبَتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، فَتَقَّ السَّمَاءُ بِالْمَطَرِ، وَالْأَرْضُ بِبَنَاتِ الْحَبِّ».

قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبِيعَ كُلُّ كَذَّبِ الرَّسُولِ..﴾ ق: ١٤.

الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ تَبْعًا قَالَ لِلأَوْسِ وَالخَزْرَجِ: كُونُوا هَاهُنَا حَتَّى يَخْرُجَ هَذَا النَّبِيِّ، أَنَا أَنَا فَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَخَدَمْتُهُ وَلَخَرَجْتُ مَعَهُ». [الأوس والخزرج هم الذين عرفوا بالأنصار بعد الإسلام]

قوله تعالى: ﴿إِذْ بَلَغْنَا الْمَدْيَنَ وَرَبَّنَا آتِنَا مِن مَّنْزِلِكَ وَإِنَّا لَنذَكِّرُونَ﴾ ق: ١٧-١٨.

* رسول الله صلى الله عليه وآله: «كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ عَلَى يَمِينِ الرَّجُلِ، وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ عَلَى شِمَالِهِ، وَصَاحِبُ الْيَمِينِ أَمِيرٌ عَلَى صَاحِبِ الشَّمَالِ، فَإِذَا عَمِلَ حَسَنَةً كَتَبَهَا مَلَكُ الْيَمِينِ عَشْرًا، وَإِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً قَالَ صَاحِبُ الْيَمِينِ لِصَاحِبِ الشَّمَالِ: دَعُهُ سَبْعَ سَاعَاتٍ لَعَلَّهُ يُسَبِّحُ أَوْ يَسْتَغْفِرُ».

* الإمام الصادق عليه السلام: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَلَهُ أُذُنَانِ، عَلَى إِحْدَيْهِمَا مَلَكٌ مُرْشِدٌ، وَعَلَى الْأُخْرَى شَيْطَانٌ مُفْتِنٌ، هَذَا يَأْمُرُهُ وَهَذَا يَنْجُرُهُ، الشَّيْطَانُ يَأْمُرُهُ بِالْمَعَاصِي، وَالْمَلَكُ يَنْجُرُهُ عَنْهَا..».

قوله تعالى: ﴿الْقِيَامِ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ق: ٢٤.

رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ اللَّهُ لِي وَلِعَلِّي: أَلْقِيَا فِي النَّارِ مَنْ أَبْغَضَكُمَا، وَأَدْخِلَا الْجَنَّةَ مَنْ أَحَبَّكُمَا..».

قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا سَلَامًا ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ ق: ٣٤.

رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ سَلَامًا».

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ق: ٣٨.

أمير المؤمنين عليه السلام: «.. أَتَقْنَن [الله تعالى] مَا أَرَادَ خَلْقَهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا بِمَا مِثَالِ سَبَقَ إِلَيْهِ، وَلَا لُغُوبٍ [تعب] دَخَلَ عَلَيْهِ فِي خَلْقِ مَا خَلَقَ لَدَيْهِ..».

قوله تعالى: ﴿.. وَسَيِّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ق: ٣٩.

سُئِلَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ: «تَقُولُ حِينَ تَصْبِحُ وَحِينَ تَمْسِي عَشْرَ مَرَّاتٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ ق: ٤٢.

الإمام الصادق عليه السلام: «هِيَ الرَّجْعَةُ».

في الحديث
النَّبِيُّ الشَّرِيفُ
أَنْ قَرَأَ
سُورَةَ «ق»، تَهَوَّنُ
سَكَرَاتِ الْمَوْتِ.



﴿الْمُتَلَقِّيَانِ﴾

هما ملكا اليمين

والشمال، وفي

الحديث: إذا عمل

العبد سيئة: «.. قال

صاحب اليمين

لصاحب الشمال:

دعه سبع ساعات،

لعله يسبح أو

يستغفر».